الشـمس

الشمس

أقسم الله بالشمس لعظم جرمها وكبر جسمها، فقال : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ (الشمس: ١) وإنما ذكرها بالضحى لأنها تكون فيه أضحى وأظهر ولهذا قالوا في الحسناء: كأنها شمس الضحى.

وقد ذكر أحد الشعراء الخليفة المكتفي وكان آية في الحسن فقال:

والله لا كلّمتها ولو انها كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وهي آية النهار وما ينكرها إلا مكابر، يقول أبو الطيب:

وكيف يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا البيت من ناصع شعره ونفيس ورده فلله دره، ويقول البوصيري:

قد تُنْكِرُ العيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ

ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمِ

وقال المعري في قصيدته الشهيرة المذهلة:

..... والعيب للعين لا للشمس في النظر

ويصفون الحجة والظاهرة بالشمس الباهرة، وقد ذكر المولى جل اسمه الشمس فقال: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ (يس: ٤٠) لأن القمر قبلها في الجري؛ إذ إن الليالي قبل الأيام فقطع الشبهة إدراك الشمس للقمر أعظم منه في إدراك القمر للشمس. ويسمونها أخت يوشع، قال شوقي:

قِفي يا أُختَ يوشَعَ خَبِّرينا

أَحاديثَ القُرونِ الغابِرينا

ويوشع هو النبي الكريم عليه السلام وكما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام: **"أن الله حبس الشمس ليوشع حتى قاتل الكفار حتى انتصر عليهم ثم غابت"**.

وفي حديث باطل ترويه بعض الطوائف أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - نام عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ثم استيقظ فسأل الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه فصلى ثم غابت، وهو خبر منكر اغتر بسنده بعض أهل السير فصححه، فصار بهذا التصحيح كالأعرابي الذي طلب لبناً يشربه فوضع له أحد اللعابين خمراً وصب فوقه لبناً فشرب حتى سكر فلما استفاق خلط وقال:

إن كنت أدري فعليَّ بدنهْ من كثرة التخليط أني من أنهْ

وقد اغتر بهذا الشاعر أبو تمام فقال في قصيدة تذوب رقة وتسيل عذوبة وتقطر شهداً مصفى:

فَرُدَّت عَلَينا الشَمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

فَوَاللَهِ ما أَدري أَأَحـلامُ نائِـمٍ أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ

ولعظم الشمس عبدها بعض الناس، قد أنكر الهدهد على بلقيس وقومها عبادة الشمس فقال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (النمل: ٢٤) فانظر لهذا الهدهد الموحد كيف أنكر على من جحد وعبد غير الواحد الأحد.

والشمس أظهر الكواكب وأشهرها في المشارق والمغارب يقول النابغة في النعمان بن المنذر:

فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالمُلوكُ كَواكِبٌ إِذا طَلَعَت لَم يَبدُ مِنهُنَّ كَوكَبُ

فانظر ما أفخم اللفظ وأرق الديباجة مع سلامة ذوق وجلالة معنى وبعد من التكلف والتنافر والغرابة حتى قال الأصمعي عن شعره: ألين من الحرير وأقوى من الحرير.

وأخوه في المعلقات العبقري الثائر المتمرد الشاب طرفة يقول في بيت له من المعلقة ولو لم يقل إلا هذا البيت لكان شاعراً:

وَوَجهٌ كَأَنَّ الشَمسَ حَلَّت رِدائَها عَلَيهِ نَقِيُّ اللَونِ لَم يَتَخَدَّدِ

وفي حديث صحيح أن أبا هريرة سُئِل : هل كان وجه الرسول ﷺ كالسيف، قال: لا، كالشمس، وقال واصفوه عليه الصلاة والسلام: كأن الشمس تجري في وجهه، فقد جمع الله له بين الهيبة والجمال، والصباحة والجلال، والملاحة والكمال.

والشمس لها ميل، قد تميل مع الفصول بدرجة على حسب الفصول، وهذا ازورار حتى جاء هذا اللفظ رشيقاً خلاباً في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ (الكهف: ١٧). أي: تميل يمنة ويسرة، يقول عنترة في فرسه:

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

وفي جريان الشمس يقول الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ (يس: ٣٨) وقرئ (لا مستقر لها) والأول أظهر، وفي الصحيح أن أبا ذر سأل النبي ﷺ أين تذهب الشمس؟ فأخبره أنها تسجد تحت العرش، وسمع ﷺ بيتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر سجود الشمس تحت العرش قال: صدق.

وأراد عمر - رضي الله عنه - أن يولّي رجلاً ولاية فقال له الرجل رأيت البارحة أن الشمس والقمر يقتتلان فكنت مع القمر على الشمس فقال عمر: كنت مع الآية الممحوّة لن تلي لي ولاية، وهذه من فراسته - رضي الله عنه - ويشير إلى قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: ١٢) فالقمر آية الليل والشمس آية النهار، وقال: محوها ذهاب شعاع القمر، وقد ترجم بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال عنه: كان أبوه نجماً وجده قمراً وهو شمس ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: ١٢) يقول أبو الطيب:

غُصنٌ عَلى نَقَوى فَلاةٍ نابِتٌ شَمسُ النَهارِ تُقِلُّ لَيلاً مُظلِما

يصف حبيبته فيقول: هي (غصن) يعني قامتها، نابت على كثيبي رمل يعني ردفها، ووجها شمس تحمل ليلاً مظلماً يعني شعرها، ونقوى مثنى نقا وهو الكثيب من الرمل، والفلاة المفازة وهي بيت بارد سامج، وللعبقرية فتور وللإبداع خدوش والتميز كالقصر الجميل ولكن فيه المجلس وغرفة الطعام والمطبخ، ولكنه قصر في مجموعه.

ومدح نزار قباني الشام فأراد أن يفخر بدمشق فقال:

اركبي الشمس يا دمشق إلى المجد

حصاناً حسبك الله حافظ وأمين

وافتخر أحد المعاصرين بقومه فقال:

نحن وجه الشمس إسلاماً وقوة

نسب حر ومجد وفتوّة

ولما تطاول بشار في شعره قال:

إذا ما غَضِبنا غَضبَةً مُضَرِيَّةً

هَتَكنا حِجابَ الشَمسِ أَو تُمطِرَ الدَما

وكان العبقري الحافظ ابن حزم الظاهري يفتخر ويقول:

وإني لشمس في السماء مضيئة

ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولما مدح بديع الزمان أحد الأمراء قال:

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً

لو كان طلق المحيَّا يُمطر الذهبا

..... والشمس لو نطقت

والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ولما مدح زهير هرماً قال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم بآبائهم أو مجدهم قعدوا

وهذا مدح أجمل من در البحور على النحور أبقى ذكر هرم فلم يهرم، وذهب ما أعطاه من دينار ودرهم، والشمس تملأ القلب جلالاً والعين جمالاً ولهذا بدأ بها إبراهيم الخليل عليه السلام في مناظرته لقومه: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ** ﴾ (الأنعام: ٧٨) وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهى عن

الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ لأن الكفار كانوا يسجدون لها، فمنع من ذلك لئلا يقع التشبه أو يحصل اللبس، وأمرنا أن نسبح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؛ لأن في إقبال النهار وإدبار الليل آية لعظمة الباري وبديع خلقه والتسبيح عند التعظيم، ثم إنه ينزه أن يعبد غيره سبحانه، والتسبيح أنسب وهو قبل الشروق والغروب أطيب وصح عن رسولنا ﷺ أنه كان يسبح حتى تطلع الشمس حسناء، ومن المبالغة الممقوتة قول بعض الشعراء لهارون الرشيد:

لما رأتك الشمس طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس

وهذا مدح باطل.

والبياض إذا غلب صار برصاً فالزم أهل الاعتدال واتبع آثارهم قصصا.

والمتنبئ أراد أن يمدح وجه حبيبته فما وجد أحسن من الشمس فقال:

رَأَت وَجهَ مَن أَهوى بِلَيلٍ عَواذِلي فَقُلنَ تَرى شَمساً وَما طَلَعَ الفَجرُ

وهو بيت متماسك من قصيدة ذائعة شائعة منها:

وَأَستَكبِرُ الأَخبارَ قَبلَ لِقائِهِ فَلَمّا اِلتَقَينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبرُ

وله كلمة بديعة في سيف الدولة يقول فيها:

الشَمسُ مِن حُسّادِهِ وَالنَصرُ مِن قُرَنائِهِ وَالسَيفُ مِن أَسمائِهِ

ونهى ﷺ في حديث عقبة بن عامر عن مسلم عن الصلاة إذا قام قائم الظهيرة، قال العلماء: إذا توسطت الشمس السماء وأصبحت بلا ظل، وكان ﷺ إذا مالت الشمس وزال ظلها قاتل في سبيل الله وهو حديث صحيح.

ولما انكسفت الشمس في عهده ﷺ صادف انكافسها موت إبراهيم ابنه عليه السلام فقال بعضهم: كسفت الشمس لموت إبراهيم فلو كان ﷺ كزعماء الدنيا هواة الجاه والعلو في الأرض.... ولكن الله عصمه وطهر قلبه وسمعه وبصره فأخبر أن الشمس والقمر لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته وإنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما من يشاء .

ومن قولي:

كأنك الشمس لو دامت على ألق والبدر لو لم يغب والليث لو عقلا

وأبو تمام يقول:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيهِ مِن شَمسِ الضُحى نوراً وَمِن فَلَقِ الصَباحِ عَمودا

وأبو الطيب له قصيدة فذة خالدة مدح بها منصوراً الحاجب وكان بخيلاً فأعطاه ديناراً والقصيدة تساوي قنطاراً منها:

كَالشَمسِ في كَبِدِ السَماءِ وَضَوؤُها يَغشى البِلادَ مَشارِقاً وَمَغارِبا

بِأَبي الشُموسُ الجانِحاتُ غَوارِبا اللابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبا

وعند مسلم عن ابن عباس أن الرسول ﷺ رأى رجلاً جالساً في الشمس قال: من هذا؟ قال: أبو إسرائيل نذر أن يصوم وأن يصمت وأن يبقى في الشمس قال: مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه، وانظر لهذه الجملة السديدة الرشيدة من معلم الخير ﷺ فإنه نهى عن أمرين غير مشروعين إدامة الصمت والبقاء في الشمس وأجاز بقاء صومه لأن الصوم مشروع في الأصل.

وتفنن أبو الطيب فقال:

بَياضُ وَجهٍ يُريكَ الشَمسَ حالِكَةً وَدُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُرَّ مختلبا

وليته لم يكرر يريك مرتين في بيت واحد لأن إعادة اللفظ بحاله مع تقارب الجمل ثقيل، ألم تر إلى أفصح ولد آدم عليه السلام كيف يغاير بين الألفاظ حتى قال النووي في المجموع في حديث "كتب الله الصلاة وفرض الزكاة"، الكتب والفرض واحد لئلا يتكرر اللفظ، ولما ذكر الله أهل الكهف قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ (الكهف: ١٧) قال الحربي في وجه النهار: تتركهم وتتجاوزهم فجعل سبحانه الشمس مذكورة لأثرها في الأرض من حيث الظل والضوء والظلمة.

ومدح شاعر كريماً فقال:

إذا حضر الشتاء فأنت شمس وإن حضر المصيف فأنت ظل

لأن شمس الشتاء دافئة مقبولة كأنها ماء ساخن في شدة البرد.

وقد ذكر الذهبي عن أحد الحمقى أنه قال: اللهم أمتني ميتة أبي عمران قالوا: كيف مات؟ قال أكل فالوذجاً حتى شبع وشرب نبيذاً حتى روي ثم خرج في الشمس فمات شبعان ريان دافئاً!! والشمس جميلة مصورة، عالية مدورة، ذات هيئة مكورة، وفي الذكر الحكيم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) قال المفسرون: لُفّت كما تلف العمامة وذهب ضوءها.

وقد صحح الألباني حديث تكور الشمس والقمر ثم ترمى في النار: وإذا جمال الوجه وحسنه انعكس ضوء الشمس فيه ولهذا يقول أبو الطيب:

شَمسٌ إذا الشَمسُ لاقَتهُ عَلى فَرَسٍ تَرَدَّدَ النورُ فيها مِن تَرَدُّدِهِ

والقمر عند أهل الفلك يعكس نوره من الشمس كما قال أبو الطيب:

تَكَسَّبُ الشَمسُ مِنكَ النورَ طالِعَةً كَما تَكَسَّبَ مِنها نورَهُ القَمَرُ

والشمس سراج يزهر والقمر نور يبهر ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١) وبعض علماء الفلك قال عن الشمس: إنها أكبر من الأرض بأربعين مرة كما في الموسوعة العربية، وسألت أحد المختصين فقال: هذه معلومة قديمة والصحيح أنها أكثر من هذا العدد بكثير.

وكانت العرب في جاهليتها تقري الضيف عند طلوع الشمس وعند غروبها فتذبح وتنحر، ولهذا قالت الخنساء في أخيها صخر:

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشَمسِ صَخراً وَأَذكُرُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمسِ

لأنه كان مضيافًا.....

والشمس تبهر البصر وتكسر النظر إذا قوي ضوءها وظهر، قال أبو الطيب:

كَأَنَّ شُعاعَ عَينِ الشَمسِ فيهِ فَفي أَبصارِنا مِنهُ اِنكِسارُ

وكان المقنع له وجه كالشمس فاحتجب خوف العين، فقال المعري:

أفِق إنما البَدْرُ المُقَنَّعُ رأسُه ضَلالٌ وغَيٌّ مثْلُ بَدْرِ المُقَنَّع

ويقول أبو الطيب:

فَلا زالَتِ الشَمسُ الَّتي في سَمائِهِ مُطالِعَةَ الشَمسِ الَّتي في لِثامِهِ

وقد أخرج الحاكم عن أنس قال: سألت أمي عن فاطمة والشمس لظهورها يورد ذكرها في المجادلة والاحتجاج يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ (البقرة: ٢٥٨) لأن الشمس وطلوعها من المشرق آية ظاهرها لا يمتري فيها عاقل حتى المكابر بهت عن مثل هذا الدليل القاطع، وفي تاريخ ابن عساكر أن أمية بن أبي الصلت مدح أخواله آل جدعان في مكة بقصيدة رائعة ذائعة منها قوله:

وَإِذا دَعَوتَهُم لِكُلِّ مُلِمَّةٍ سَدّوا شُعاعَ الشَمسِ بِالفُرسانِ

وإنما ذكر الشمس لأن الغارة تكون صبحاً عند طلوعها كما قال جل ذكره: ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا** ﴾ (العاديات: ٣)، ونعمة اغتسال النفس بضياء الشمس من أجلِّ النعم، ولهذا يوصي الأطباء بتعرض الأطفال للشمس لأن فيها فيتامين D (دي) الذي يمنع من هشاشة العظام.